الكنيسة بيت ميلادنا الجديد

بحسب تعليم آباء الكنيسة



دار مجلة مرقس

الكنيسة
بيت ميلادنا الجديد

بحسب تعليم آباء الكنيسة

دار مجلة مرقس

كتاب: الكنيسة بيت ميلادنا الجديد بحسب تعليم آباء الكنيسة
ترجمة وإعداد: رهبان دير القديس أنبا مقار.
مقالات مترجمة عن كتاب:
SOURCES: Les Mystiques Chrétiens des Origines
(منابع الروحانية المسيحية في أصولها الأولى). للفيلسوف الفرنسـي المعـاصر
والعالم الآبائي أوليفييه كليمانت Olivier Clément
الناشر: دار مجلة مرقس.
الطبعة الأولى: ١٩٩٤
مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون. ص.ب ٢٧٨٠ القاهرة

مقالات سبق نشرها في مجلة مرقس أعداد من شهر إبريل إلى ديسمبر ١٩٩٠

المحتويات

- ١ -

العروس والأم

□✱■✱□

+ الكنيسة في مفهومها «السري الروحي الجوهري» هي استعلان قوة حياة القيامة. هي «سرٌّ» القائم من بين الأموات الذي يُعرِّفنا بسرِّ قيامته، ويشركنا فيها.

+ الكنيسة هي «حواء الجديدة» أُم كل حي، التي وُلِدتْ من جنب المخلص المفتوح مثلما طلعت حواء من جنب آدم. لقد نبع من جنب المسيح المطعون دمٌ وماء (يو١٩: ٣٤)، ماء المعمودية ودم الإفخارستيا.

[المسيح غمر الخليقة الجديدة بفيضاناته الإلهية المقدسة. فقد أفاض للعطاش ينبوع ماء حيٍّ، الذي تدفق من الجرح الذي فتحته الحربة في جنبه المحيي.
إنها الكنيسة، هذه التي طلعت من جُرح جنب المسيح، هذه التي جعل منها عروساً له لتكون شريكة حياة معه إلى الأبد.](١)

العلاّمة أوريجانوس

---

(١) ORIGÈNE: *Commentaire sur la Psaume* 77,31 (PG 17,141); *Commentaire sur les Proverbes*, 31,16 (PG 17,25)

+ الكنيسة في مضمونها الأساسي ليست شيئاً آخر سوى العالم العائد إلى الله، والسائر في طريق التجلي، أي التحوُّل من طبيعةٍ بشرية خاطئة، إلى إنسانية روحانية مُعدَّة للخلود. الخليقة الجديدة تصبح في المسيح قادرةً أن تحيا في ملء الحياة الفردوسية. فردوس الحضرة الإلهية هو في الحقيقة المسيح نفسه، الذي في مقدوره أن يقول للِّص المصلوب الذي بلغ كمال الإيمان: «اليوم ستكون معي في الفردوس» (لو ٢٣:٤٣). فالعالم إذا آمن بالمسيح صار هو السماء الجديدة والأرض الجديدة، أي الخِلقة أو الطبيعة المتجددة، التي تسري إلينا من خلال أسرار الكنيسة، ومن خلال كلمة الله في الكتاب المقدس الذي هو «سرٌّ» أيضاً. هناك أسرار متعددة في الكنيسة، ولكن السر الجامع الشامل بينها، وهو لها بمثابة القلب والشمس، بل و«سر الأسرار»، هو الإفخارستيا.

[ينبغي أن نلجأ إلى الكنيسة، ونحتمي في حضنها، ونرضع ونتغذى من أسفارها الربانية (الكتاب المقدس بعهديه). لأن الكنيسة غُرِست في وسط العالم كفردوس نعيم على الأرض.](٢)

القديس إيرينيئوس
أسقف ليون

+ الكنيسة بالروح القدس هي سرُّ الرب القائم، هي حضوره السرائري (sacramental) الدائم. إنها المجال الخِصب لعمل الروح،

---

(٢) IRÉNÉE DE LYON: *Contre les Hérésies*, V, 20, (SC n° 153, p.258)

حيث تظل الكرازة الرسولية، والبشارة المفرحة، حيةً وحاضرةً ودائمة الاتصال بـ «شهادة الأنبياء والرسل وكل التلاميذ». فالتقليد المسيحي الأمين الحي يعني حياة الروح القدس وعمله في جسد المسيح، ليس فقط بالتسليم، ولكن أيضاً بـ «جِدَّة الروح» في جِدَّةٍ متجددة دائماً في أشخاص أحياء. الروح القدس يفيض بغنى في جسد المسيح السري، وأيضاً حيث يعمل الروح القدس في التاريخ وفي العالم، فهناك الكنيسة حاضرة سرًّا. ما من نبتة صغيرة (شخص تائب) تطلع في الكنيسة، أو جماعة روحية، إلاّ وتزدهر فيها؛ بل كل بحث عن الحق والبر والصلاح يجري فيها، كل شذرة تأمل، أو حكمة، أو تمجيد لله، كل ذلك تحصده الكنيسة وتجمعه في تراثها على مدى الزمن لبناء أبنائها الجدد على مَرِّ الأجيال وإلى الأبد.

[كرازة الكنيسة هي واحدة في كل مكان، وتظل متطابقة ومتوافقة على ممر الأجيال، مدعمة بشهادة الأنبياء والرسل وكل التلاميذ (اللاحقين)، عبر زمن الخلاص، سواء في البداية أو في الوسط أو في النهاية. وبالإيجاز على مدى امتداد العمل الإلهي الذي يجريه الله، الذي لا يني أن يعمل كل شيء لخلاص الإنسان، والذي يجعل نفسَه دائماً رهنَ إيماننا، أي سهل المنال بالإيمان، هذا الإيمان الذي نناله من الكنيسة ونصونه، لا يكف، بفعل الروح القدس، أن يتجدد دائماً كينبوع ماءٍ حي، بل ويجدد (يغسل وينظف) الوعاء الذي يستوعبه.

وهكذا يتضح في الواقع أن الكنيسة قد استُودِعَت هذه الهبة من الله، كما وهب الله نفخته للجسد الذي أبدعه لكي تتقبل

سائر أعضائه الحياة. هذه الهبة احتوت في داخلها ملء الاتحاد بالمسيح، أي الروح القدس، ضمان عدم الفساد (الخلود)، وثبات إيماننا، وسلم صعودنا إلى الله... لأنه حيث الكنيسة فهناك أيضاً روح الله؛ وأينما يكون روح الله، فهناك الكنيسة وكل النِعَم. والروح القدس هو الحق.](٣)

القديس إيرينيئوس
أسقف ليون



(٣) IRÉNÉE DE LYON: *Contre les Hérésies* III, 24, 15 (SC n° 211, p.470-471)

- ٢ -

كلمة الله المستعلنة في الكتاب المقدس هي أول الأسرار

□✱■✱□

+ كلمة الله المستعلنة في الكتاب المقدس بعهديه، يمكن أن تؤكل وتُشرب وتتحول فينا بفعل «الكلمة المتجسد» إلى حياة أبدية. الذهن الروحي المسيحي هو في حقيقته إفخارستي؛ فوصية «تحب الرب إلهك من كل القلب والنفس والفكر» (مر١٢: ٣٠) تفتح أمامنا الطريق لاستقبال «السرّ sacrement»، والسرُّ بدوره ينير البصيرة.

[قيل إننا نتناول المسيح، ليس فقط عندما نتناوله بحسب ترتيب الكنيسة أي في سرّ الإفخارستيا، ولكن أيضاً عندما نتقبَّل كلامه الذي فيه تكمن الحياة، كما قال الرب نفسه: «الكلام الذي أُكلّمُكم به هو روح وحياة».][1]

العلاّمة أوريجانوس

[في الحقيقة، قبل أن يأتي المخلِّص في الجسد، كان الكتاب المقدس (أي كلمة الله) بمثابة الماء، أما منذ مجيء الرب فقد

(١) ORIGÈNE; *Homélies sur les Nombres*, 16,9 (PG 12,701)

حوّل هذا الماء لنا خمراً، فصرنا نتقبله كلما نتناول دمه الإلهي المعطي الحياة.](٢)

العلاّمة أوريجانوس

+ الحضرة الإلهية للكلمة تستعلن سرّ وجودها الواقعي في العهد القديم، وإنما في نطاقات ضيقة، وبالتدريج، إلى أن يتم الاستعلان الكامل للكلمة بالروح القدس في العهد الجديد. فالتوراة هي «تمهيدٌ للإنجيل»، وكل أسفارها تشير إليه وتدور حوله وتؤدي إليه؛ والأناجيل بدورها تبلغ كمالها في إنجيل الاستعلان التام، إنجيل القديس يوحنا. وحتى نفهم ما يهدف إليه كلام القديس يوحنا يلزم التعرُّف على روح وأعماق التلميذ المحبوب - تلميذ قلب يسوع...

[ما من أحدٍ يجسر أن يعلن عن سر لاهوت الرب بوضوح مثل القديس يوحنا الإنجيلي؛ ويمكننا أن نجرؤ ونقول إن الأناجيل هي كمال الكتاب المقدس، وإنجيل يوحنا هو كمال الأناجيل. فليس من استطاع أن يدرك معنى كلام المخلّص إدراكاً كاملاً، إلا ذاك الذي اتّكأ على صدره (أي كان قريباً من قلبه بمعنى دالة الحب البنوي)، وأخذ «أم يسوع» لتكون أُماً له تماماً.](٣)

العلاّمة أوريجانوس

+ لا يمكن إدراك المعنى اللاهوتي المستتر في كلمة الكتاب المقدس، إلا بالتأمل الذي يقودنا إليه الروح القدس. فلم يكن عند الآباء قواعد

(٢) ORIGÈNE; *Commentaire sur l'Evangile de Jean* 13,60 (GCS 4, 294, 295)

(٣) ORIGÈNE; *Commentaire sur l'Evangile de Jean* 1,6 (GCS 4,8,9)

أساسية للدراسة والبحث في كلمة الله، وإنما كان الروح القدس يكشف لهم ما أُغلق عليهم فهمه، بحسب حاجتهم الروحية اليومية في تعاطيهم لكلمة الله كغذاء يومي أساسي لحياتهم مع الله، وكان يصل بهم حتى الأعماق، حيث سر الثالوث والحب الإلهي والفداء... يقيناً أنه لكي نفهم كلمة الله ونستوعب متطلباتها، لا بدَّ من أن «نسأل... ونطلب... ونقرع...» كما أمرنا الرب... لأن المعاني الروحية لا تُستعلن إلا من خلال الصلاة...

[إقرأ الأسفار الإلهية بغيرةٍ حارة، وبإيمان مع الإرادة الصالحة المُرضية لله. إنه لا يكفي أن «تطرق بابها» و«تطلبها» فقط، ولكن يلزمك قبل كل شيء أن تحصل على البصيرة التي بها تدرك الأمور الإلهية وهي الصلاة.](٤)

العلاّمة أوريجانوس

[الدخول إلى أعماق الأقوال الإلهية والتأمل في أسرارها الخفية بعين القلب الصافية، هذا لا يمكن أن نبلغه بالمعرفة البشرية أو بالفنون الدنياوية، بل فقط بنقاوة النفس المستنيرة بالروح القدس.](٥)

القديس يوحنا كاسيان
(عن أبّا نستيروس Nesteros)

[إذا أردت أن تصل إلى معرفةٍ حقيقية بالأسفار الإلهية، بادر

---

(٤) ORIGÈNE; *Lettre à Grégoire le Thaumaturge* 3, (PG 11,92)

(٥) JEAN CASSIEN: *Conférences* XIV, 9 (SC n° 54, p.195)

أولاً أن تقتني اتضاعاً قلبياً وثيقاً، وهذا سيقودك، لا إلى العلم الذي ينفخ، بل إلى المعرفة التي تمنح الاستنارة، بكمال المحبة.][٦]

القديس يوحنا كاسيان

(عن أبّا نستيروس Nesteros)

[لا تَقْرُبْ أبداً من كلام الأسرار الذي في الكتاب المقدس، قبل أن تصلي وتطلب معونة الله، ولكن قُلْ: يا ربُّ امنحني أن أحسَّ بالقوة التي في كلامك. وثِق تماماً أن الصلاة هي المفتاح الذي يفتح على أسرار المعاني الحقيقية لأقوال الأسفار الإلهية.][٧]

مار إسحق السرياني

+ الكتاب المقدس إذ يحتوي أقوال الله، هو بحر لا حدود لاتساعه ولا نهاية لعُمقه. فالتقابل مع «الكلمة» دائماً جديدٌ. والمرء يعرف أنه سائرٌ على الطريق السويّ عندما يرى أن سماعه للكلمة أو قراءته لها أعاد الهدوء والسلام إلى نفسه وملأها بالوداعة واللطف، من نحو الآخرين أياً كانوا، أي لا غضب ولا حقد ولا كراهية بعد. مَنْ له علاقة صميمية بالكلمة، تجد عنده التلقائية لأن يقابل أية ضيقة تأتي عليه بالصلاة.

+ المعنى الحقيقي للأقوال الإلهية ينكشف لمن هو متأصِّل بحق في التقليد المسيحي الحي المنفتح على نهر حياة شركة القديسين. لأن مثل

---

(٦) JEAN CASSIEN: *Conférences* XIV, 10 (SC n° 54, p.194)

(٧) ISAAC LE SYRIEN: *Traités Ascétiques*, 73e Traité (Ed Spanos, p.288)

هذا حتى ولو كان متوحداً أو مُعتزلاً عن الناس، إلاّ أن كل قراءة للكتاب المقدس عنده تأخذ المفهوم الكنسي والمذاق الليتورجي الإفخارستي. ففي الإفخارستيا، حيث يتم التلاقي مع «الكلمة» في سكون المحبة، تستنير البصيرة، فيتجلى للقارئ المعاني المستترة في الأقوال الإلهية في العهد القديم والعهد الجديد على السواء.

[تنذهل النفس من الاستعلانات الجديدة التي تقابلها على الدوام في البحر اللانهائي الذي لأسرار الكتاب المقدس. وحتى إذا رفّ الذهن على سطح مياه محيط الأسفار الإلهية، فإنه منها يقدر أن يغوص في بحر عمق المفهومات المخبّأة فيها... إن مجرد الاطلاع برغبة حارة على أقوال الله يكفي لأن يُدرك الإنسان المعنى المقصود تماماً والمستتر في سرِّ الكلمة...][٨]

مار إسحق السرياني

[عندما تأتي إلى مطالعة الكتاب المقدس بعهديه، تأمل جيداً فيما تهدف إليه كل كلمة، حتى يمكنك أن تختبر وتستوعب بإفراز شديد عمق وقدسية المعاني التي تحويها. أما الذين اقتادتهم النعمة طيلة حياتهم وأتت بهم إلى الاستنارة، فإنهم لا يكفّون عن أن يحسوا دائماً بأن شعاعاً روحياً يخترق الآيات، وبذلك يمكنهم أن يميزوا قوة الكلام ومعانيه العميقة...

عندما يقرأ الإنسان الأقوال الإلهية ببصيرة واعية، فإن قلبه أيضاً يتنقّى وتحل فيه السكينة (أي السلام). لأن القوة الإلهية

---

(٨) ISAAC LE SYRIEN: *Traités Ascétiques*, 1er Traité (p.4)

تمنح نفسه فهماً كاملاً فائقاً وعجيباً مصحوباً بمذاق عذب وشهيٍّ للغاية...][٩]

مار إسحق السرياني



(٩) ISAAC LE SYRIEN: *Traités Ascétiques,* 1er Traité (p.5)

- ٣ -

المعمودية

طقس الدخول في سرِّ الصليب والقيامة

□✱■✱□

+ المعمودية هي موت وقيامة مع المسيح وفيه... هي تغطيس كُلِّي في ماء الموت الخانق من حيث نصعد أيضاً مرة أخرى، ولكن لنتنسَّم روح الحياة الجديدة، لنتنسَّم الروح القدس. لأن الماء وهو مُعْتَبَرٌ عنصراً للحياة كما أنه عنصر للموت، بحسب رمزه الطبيعي، يصبح من خلال السرِّ حاملاً لقوة القيامة بالروح القدس.

[قدِّس هذا الماء، حتى يتقدس به كلُّ من يتعمد فيه مع المسيح، ويموت معه، ويُدفن معه، ثم يقوم للتبنِّي (لله).](١)

القوانين الرسولية

[بولس المتمثل بالمسيح، يقول: «تشبَّهوا بموته حتى تبلغوا قيامته». فكيف، إذاً، يمكننا أن نأتي إلى التشبُّه بموته؟ ذلك بأن نُدفن معه بالمعمودية. فهناك موتٌ واحدٌ وقيامة واحدة، وهذان تمثلهما المعمودية (مرة واحدة). لهذا أسس الرب عهد العماد

(١) *Constitutions Apostoliques,* 7,43 (ed. F.X. Funk, t. 1 p. 450)

الذي يتضمن مثال الموت والحياة: فالماء يحقق صورة الموت، والروح القدس يبثّ فينا سرّ الحياة. إنه بثلاثة تغطيسات، كما بثلاثة استدعاءات، يتم السرُّ الجليل الذي للعماد. لكي يُستعلن ويتحقق مثال الموت، وحتى بتسليم معرفة الله، يستنير المُعمَّدون.](٢)

القديس باسيليوس الكبير

[سُئلتَ: "أتؤمن با لله الآب الكليُّ القدرة (أو الضابط الكل)"؟ فأجبتَ: "أؤمن"، ثم إنك غُطّستَ في الماء، أي دُفنتَ. وسُئلتَ مرة ثانية: "أتؤمن بربنا يسوع المسيح وبصليبه"؟ أجبتَ: "أؤمن"، ثم إنك غُطستَ في الماء، وبهذا قد دُفنت مع المسيح. وسُئلتَ للمرة الثالثة: "أتؤمن أيضاً بالروح القدس"؟ أجبتَ: "أؤمن" وغُطستَ مرة ثالثة، حتى بالاعتراف المثلث تُمحى الزلاّت المتفاقمة التي للحياة السابقة.](٣)

القديس أمبروسيوس أسقف ميلان

+ يصير الماء للآتي إلى الإيمان بمثابة قبر ينغلق عليه بعض الوقت. ولكي يتحول هذا القبر إلى رَحِم، يلزم الحلول السري الفائق للروح القدس. الروح المُعطَى "من فوق" ليلد "من جديد أو ثانية" الإنسان، بأن يكسي كيانه كُلّيةً بنوره الإلهي الحقيقي: قلبه، وعقله، ورغبته، وكل قدراته، بل وحواسه أيضاً. ينبغي هنا أن نرجع لكلام الرب

---

(٢) BASILE DE CÉSARÉE: *Traité de l'Esprit Saint*, 15 (PG 32,128,129)

(٣) AMBROISE DE MILAN: *Des sacrements*, III,7,20 (SC. n° 25, p.68)

يسوع مع نيقوديموس، الوارد في إنجيل يوحنا: «الحقَّ الحقَّ أقول لك: إن كان أحدٌ لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله... ينبغي أن تولدوا من فوق (أو من جديد)، الريح تهبُّ حيث تشاء، وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كلُّ من وُلِدَ من الروح.» (يو٣: ٥-٨)

+ فالروح القدس، إذاً، هو الذي يشكِّل الإنسان المَحدَّد في باطن الماء الذي صار بمثابة الأم. وهذا على مثال المياه الأولى في بداية الخَلق، والتي كان يحضنها روح الله (couver – كما يحضن الطائر البيض تحت جناحيه لتدبَّ فيه الحياة)، ولكن هذه المرة لتكوين الخليقة الجديدة.

+ في الماء تذوب، بنعمة الله، قشور النفس، وتنحلُّ قساوة القلب، فيصبح الإنسان مستعداً لتقبُّل النور الإلهي الذي يرمز إليه الثوب الأبيض الذي يلبسه المُعمَّد: وهو إشارة إلى جسدٍ مجدِهِ. أما التغطيس الثلاثي فهو يشير، من جهةٍ، إلى «الثلاثة أيام» التي أمضاها المسيح في القبر، هذا القبر حوَّلته «قيامته المقدسة» – كما تقول بعض الصلوات الليتورجية لعيد الفصح – إلى «حَجلة عُرس» (لهذا اختارت الكنيسة الأولى ليلة عيد الفصح لتمنح فيها سرَّ العماد للموعوظين بعد إعدادهم طيلة الصوم الكبير)..

+ والثلاثة التغطيسات، من جهة أخرى، هي لتمجيد الثالوث الأقدس الذي «باسمه» تُمْنَح المعمودية: «تلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت٢٨: ١٩). «الاسم» هنا يعني «الحضرة الإلهية». فالمعمودية التي تتم باسم المسيح، وتهبنا أن ننال الروح القدس، تُدخلنا إلى بيت الآب حيث يمنحنا وجوداً دائماً

في سرّه الثالوثي الأقدس.

[المعمودية ترمي إلى غاية مزدوجة: تُبطل جسد الخطية حتى لا يعود يُثمر للموت، بل يحيا الإنسان الجديد حاملاً ثمار القداسة. الماء يحمل صورة الموت باستقباله الجسد بشبه القبر؛ والروح القدس يسكب علينا القوة المحيية، بتجديده لحياتنا وتغييرها من حالة الموت والإثم إلى الحياة الأولى (حياة ما قبل السقوط). فهذه هي الولادة الثانية (أو الجديدة) من فوق، من الماء والروح. نحن في الماء نُدفن ونموت مع المسيح، والروح يُحْيِي فينا الحياة. إنه بثلاثة تغطيسات وبثلاثة دعاءات يتم سرُّ المعمودية الجليل القدر، حتى يكمل مثال الموت، ويستنير المعمَّدون بالشركة في سر معرفة الله.](٤)

القديس باسيليوس الكبير

[ثم جيء بكم إلى جرن المعمودية المقدسة، كما أُنزل المسيح من على الصليب وأُودع في القبر الذي كان قد أُعِدَّ من قبل. وكل واحد منكم أقرَّ علانيةً اعتراف إيمانه الخلاصي باسم الآب، والابن، والروح القدس؛ وقد عُمِّدتم في الماء ثلاث دفعات، وهذا كان على مثال دفن المسيح في القبر ثلاثة أيام، وبهذا العمل تُحسَبون أنكم قد مُتُّم ووُلدتم من جديد؛ فالماء الخلاصي كان لكم في وقت واحد قبراً ورَحِماً.](٥)

القديس كيرلس الأورشليمي

(٤) BASILE DE CÉSARÉE: *Traité de l'Esprit Saint*, 15 (PG 32,129-132)

(٥) CYRILLE DE JÉRUSALEM: *Catéchèses Mystagogiques*, II, 4, (SC n° 126, p. 124)

[(كُتِبَ) عن المسيح أنه مُسِحَ بزيت البهجة، أي بالروح القدس. وهكذا يُسمى الروح القدس ينبوع الفرح. وأنتم يا من اعتمدتم وتقبلتم المسحة السرائرية[٦] صرتم رفقاء وشركاء للمسيح.][٧]

القديس كيرلس الأورشليمي

+ وهكذا ستكون الحياة الروحية: نبدأ سلوكنا فيها عندما نبدأ نَعي «نعمة المعمودية» (التي نلناها في الصغر أو الكبر)، واستمراريتنا فيها هي بقدر دوام إصغائنا للضمير الذي تطهَّر بهذه النعمة (بالماء والروح، أو بالروح القدس والنار)، ضمير واعٍ تماماً، كفيل بأن يحوِّل ويجدِّد الإنسان كلية، ولكن رويداً رويداً. الفعل السري المزدوج للمعمودية: «الموت – والقيامة» ينير أمامنا الطريق للدخول في سرِّ عمل الإيمان؛ فعندما يبدو لنا أننا فقدنا كل شيء صالح، ولم يَعُد لنا قدرة على المسيرة الإيمانية والسلوك بالروح؛ في هذه اللحظات إذا وعينا نعمة «المسحة» التي أخذناها في العماد وأصْغينا تماماً لإلهاماتها، تصير كفيلة بأن تنقلنا من حالة إحساسنا بالموت، إلى حالة إحساسنا اليقيني بالقيامة والحياة...

+ ينبغي أن نعرف أن كل مفهوم النسك المسيحي يقوم على أساس أنه مجرد إزاحة العوائق (الخطايا الكبيرة) واقتلاع الحشائش الضارة (العادات الرديئة)، حتى نعطي فرصة لحياة المسيح نفسه أن

---

(٦) الميرون myron: سر المسحة chrismation، يسمى في كنائس الغرب سر التثبيت confirmation.

(٧) Ibid. III, 2, (SC n° 126, p. 124)

تنمو وتتجلى فينا – هذه التي نفخها فينا بقيامته المجيدة. إن ما يسميه البعض بـ«معمودية الروح» (عند بعض الطوائف المسيحية) ليست شيئاً آخر سوى وعينا بنعمة المعمودية، وإنصاتنا الكامل للروح القدس الذي نلناه فيها – هذا الذي لا يكفُّ عن تبكيتنا حتى يقودنا للتوبة، ومن ثمَّ يعطينا الحياة الجديدة في المسيح أو يجددها فينا، محوِّلاً «القلب الحجري» إلى «قلب لحمي»، قلب حي مستجيب لعمل النعمة، يكتب عليه الروح كلَّ متطلبات المحبة. فتصير هذه وكأنها مقتضيات بديهية صادرة من تلقاء النفس.

+ الإنسان الذي تجددت حياته بنعمة العماد لا يعود يخشى موت الجسد. ألم يُكْتَب عن المسيحيين في القرون الأولى «أنهم القوم الذين لا يهابون الموت»!

+ فحيث التحرر من الخوف والقلق النفسي الشديد، هناك تعمل المحبة بكامل قدراتها.



- ٤ -

الإفخارستيا

هي سرُّ قوة صيرورتنا «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط١: ٤)

□✱■✱□

يقول القديس يوستينوس الشهيد والفيلسوف (١٠٠-١٦٥م):

[نحن نجتمع معاً لنصلي من أجل أنفسنا، ومن أجل الجميع... حتى ندرك معرفة الحق والنعمة... لكي يمكننا أن نتمم الوصايا... وبعد أن نُكمِّل الصلوات، نبادل بعضنا بعضاً قبلة السلام. ثم يُقدَّم لمن يرأس جماعة الإخوة خبزة وكأس من عصير العنب ممزوج بالماء، فيأخذها بين يديه، ويقدِّم التسبيح والتمجيد للآب ربِّ الخليقة باسم الابن والروح، ثم أنه يعمل إفخارستيا (أي صلاة شكر) شاكراً فيها الله الذي أهَّلنا لهذه النِعَم. وبعد أن يُكمل الصلوات والإفخارستيا، يصيح كل الشعب الحاضر قائلاً: آمين. و"آمين" كلمة عبرية تعني:"ليته يكون هكذا".

وعندما يقدم الرئيس الشكر ويردُّ عليه كل الشعب، يتقدم الخُدام الذين ندعوهم شمامسة ويناولون كل الحاضرين من الخبز والخمر المُقدَّسَيْن، ويحملون أيضاً منهما للغائبين (من المؤمنين

الذين لم يتيسر لهم الحضور بسبب مرضٍ أو ضعفٍ.][1]

القديس يوستينوس الشهيد

+ «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي، هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم... الحقَّ الحقَّ أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم.» (يو٦: ٥١-٥٣)

+ لم يكفّ الآباء عن أن يتخذوا هذه التأكيدات العجيبة، التي نطق بها الرب يسوع، دعامة لإيمانهم: فالمسيح هو «الخبز النازل من السماء»، «خبز الحياة»، المخلِّص القائم من الأموات يعطي نفسه بكُلِّيته لنا في الإفخارستيا... إنه في آن واحد «الخبز الحي»، و«الخبز المحيي»، لأنه فيه وبه تسري الحياة الإلهية في البشرية وكل الخليقة. وهكذا تكون الإفخارستيا هي بالحقيقة، قوة القيامة وتحقيقها منذ الآن، وهي «خميرة (أو عربون) الخلود» كما يقول القديس إغناطيوس الإنطاكي. هذه القوة في الواقع هي «موضوعية objective»، ولكنها تستلزم أن نحصل عليها بالإيمان، لتصير فينا قدرة إلهية فاعلة (للتطهير والاستنارة)... التحقيق السرائري عند الآباء (كما فهموه من واقع الإنجيل والتقليد الرسولي) هو «تحوُّل» كامل لا يقبل المجادلة: فالخبزُ يصير جسدَ المسيح، والخمرُ دَمَه الكريم.

[إنه خبز الحياة، ومَنْ يأكل الحياة لا يمكن أن يموت... تقدَّموا إليه وكُلوا منه، واشبعوا، لأنه خبز الحياة. اسرعوا إليه، وارووا

---

(١) JUSTIN: *Apologie*, I, 65, (PG 6,83)

ظمأكم منه، لأنه ينبوع (الحياة الأبدية). اقبلوا إليه واستنيروا، لأنه النور (الحقيقي).. تعالوا إليه وتحرروا، لأنه حيث يكون هو، فهناك يكون روح الرب ومعه الحرية الكاملة... «أنا هو خبز الحياة. مَنْ يُقْبِل إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً.» (يو٦:٣٥)][٢]

القديس أمبروسيوس

أسقف ميلان

[المسيح نفسه أعلن قائلاً عن الخبز: «هذا هو جسدي». فمن يجسر منذئذ فصاعداً أن يتردد في الإيمان بهذا؟ وإذا كان الرب ذاته هو الذي يؤكد تأكيداً مطلقاً ويقول: «هذا هو دمي» فمن يرتاب ويقول إن هذا ليس هو دمه؟][٣]

القديس كيرلس الأورشليمي

+ الجسد الإفخارستي هو جسد يسوع الذي اتخذ جسداً منظوراً ومحسوساً، وهو أيضاً جسد المسيح القائم من بين الأموات. إنه جسد الطفل (الإلهي) مولود المذود، والجسد الحامل الآلام على الصليب – لأن الخبز «انكسر»، والدم «اندفق» – والجسد قام وتمجّد. وعندما يُقال «الجسد»، ينبغي أن يُفهم أنه الطبيعة البشرية ككلٍّ التي لبسها المسيح وقام بها. فمنذ القيامة والصعود وهذه «الحياة الإلهية» تحتضن العالم كله، وتعمل سراً على تجلّيه (transfigure).

---

(٢) AMBROISE DE MILAN: *Commentaire du Psaume 118*, 18-28 (PL 15,1203)

(٣) CYRILLE DE JÉRUSALEM: *Catéchèses Mystagogiques*,IV, I, (SC n° 126, p. 134)

+ فمع أن كلمة الله لَمّا تجسد، تنازل من فرط حبه للإنسان، وأخضع نفسه كلّيةً ليُحتَوى في حيِّزٍ معين من المكان، وفي وقت محدد من الزمن، إلاّ أنه في الحقيقة كان ما يزال يحوي في كيانه الإلهي المكان والزمان...

+ كان لا بدَّ (لأجل تجديد الإنسان وخلاصه) أن يتأنس كلمة الله ويلبس طبيعتنا الساقطة والمائتة، ليملأ كل أركانها بالنور والحياة.

+ هذه البشرية وهذه الخِلقة الجديدة التي اتحدت بالطبيعة الإلهية، هذا الخبز وهذا الخمر المتحليان، هذا الجسد الممجَّد والحامل لآثار الآلام إلى الأبد - هذا هو الذي تُشْرِكُنا فيه الإفخارستيا.

[المجوس خرُّوا ساجدين أمام هذا الجسد المُضجع في مهد المذود... والذي لم يَعُد بعد، في مذودٍ لنراه فيه، بل على المائدة المقدسة.

ثِق تماماً أنها ما زالت هي الآن نفس المائدة التي كان على رأسها الرب يسوع في العشاء الأخير قبل الصلب، لا فرق بين هذه المائدة وتلك.

هذا هو الجسد الذي تخضَّب بالدماء، وطُعِنَ بالحربة، حيث فاضت منه ينابيع الشفاء والخلاص الأبدي، تلك التي للدم والماء، من أجل فداء العالم كله.

المسيح أشرق في أعماق ظلماتنا ببهاء نوره، وإذ صعد إلى عرشه السماوي، ما زال يرسل لنا أشعته من خلال هذا الجسد،

الذي يمنحنا أن نُمسِكه بأيدينا ونأكله.](٤)

القديس يوحنا ذهبي الفم

+ المسيح، بموته وقيامته، جعل العالم (وهو الخليقة المنظورة) يتجلّى بمجد الله... ونحن بتناولنا من الإفخارستيا، نشارك في مجد القيامة هذا... لم يَعُدْ خبز الشركة (بعد التقديس) خبزاً ساذجاً، بل متحداً باللاهوتية... لأن الخبز والخمر تحوَّلا إلى جسد ودم المسيح.

[أما نحن، فعقيدة إيماننا تتوافق مع قبول الإفخارستيا. والإفخارستيا تُثَبِّت إيماننا. فنحن نقدِّم لله ما هو له، مُنادين بشركة واتحاد الجسد مع الروح. لأنه كما أن الخبز الذي يأتي من الأرض، وبعد استدعاء الله، لا يعود بعد خبزاً اعتيادياً، بل إفخارستياً، متخذاً قِوامه من أمرين، أحدهما أرضي والآخر سماوي؛ كذلك أجسادنا التي تشترك في الإفخارستيا، لا تعود بعد قابلة للفساد، لأنها تحمل في داخلها رجاء القيامة.](٥)

القديس إيرينيئوس أسقف ليون

[أولئك الذين ينكرون خلاص وتجديد (قيامة) الجسد، هم على ضلال مبين. إن لم يكن خلاصٌ (حياة أبدية) للجسد، فما كان الرب قد افتدانا بدمه. وكما كان كأس الإفخارستيا هو تناول

(٤) JEAN CHRYSOSTOME: *Sur la 1re Cor., Homélie* 24,5 (PG 61,204)
Sur Matthieu, Homélie 50, 3 (PG 58, 507)
Sur la 1re Cor., Homélie 24, 4 (PG 61, 203,204)

(٥) IRÉNÉE DE LYON: *Contre les Hérésies* IV, 18, 5, (SC n° 100 bis, p.610-612)

دمه، والخبز الذي نكسره هو تناول جسده، لأن الدم لا يمكن أن يجري إلاّ من عروق، من جسدٍ طبيعي حيٍ، كذلك فمن أجل أن يصبح كل هذا حقيقة واقعية، افتدانا كلمة الله بدمه... ولكوننا أعضاءه ونغتذي بنفس الوسيلة التي تقتات بها الخليقة التي يمدُّنا هو نفسه بها بإشراقه الشمس وإسقاطه المطر، أخذ من نتاج الخليقة كأساً وأعلنه دمه الخاص، هذا الذي به يتحصَّن دَمُنا. والخبز المستخرج أيضاً من بَرِيَّته (أي خليقته) صَرَّح بملء فيه أنه هو جسده، الذي به تتقوى أجسادنا.](٦)

القديس إيرينيئوس أسقف ليون

+ الإفخارستيا تستلزم تذكُّر وعمل تذكار كل تاريخ الخلاص الذي يدور محوره حول الصليب المُحيي، صليب القيامة، والعبور من الموت إلى الحياة الأبدية. هذه الأحداث الخلاصية تستحضرها ذاكرة الكنيسة، وتجعلها واقعية وفعَّالة. في هذا «التذكار» الحيّ، يكون الكاهن مثال المسيح، كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم، إنه يشهد بأمانة المسيح الشديدة لكنيسته. بواسطته تتجمع كل صلوات الشعب لتُقدَّم على مثال المسيح، رئيس الكهنة الأعظم والأوحد، الذي يكمِّل الإفخارستيا بذبيحة نفسه.

+ كل حقائق الإيمان تكمَّل في الكنيسة بالروح القدس، الذي فيه تُستعلن الكنيسة «جسد المسيح السري»، والتي فيها يُرى العالم متجلياً...

(٦) IRÉNÉE DE LYON: *Contre les Hérésies* V, 2,2, (SC n° 153, p.30-32)

+ كـان الـروح القـدس في بـدء الخلقـة «يـرِفُّ» فـوق الميـاه و«يحتضنها» كطائر كبـير يفـوق كـل حـدٍّ، ليبثَّ فيهـا الحيـاة.

+ الله الكلـيّ القـدرة، لكـي يجعـل الإنسـان حيـاً خـالداً، نفـخ في جُبلتـه الطينيـة، روحَ الحيـاة.

+ الـروح القـدس حـلَّ علـى العـذراء، حتـى يتخـذ منهـا **الكلمـة** جسـداً... وهكـذا يـأتي الـروح القـدس، ويحـلُّ علـى الشـعب المجتمـع، والـذي يقـدِّم قربـان الخبز والخمـر، لـ«يُظْهِـر» مـن خلالهمـا جسـدَ ودمَ المسيح (كلمـة يُظْهَـر = يُعلَـن: هـي تعبـير موجـود في قـداس القديـس باسيليوس)(٧) اللذيـن بهمـا يشـترك المؤمنون في جسـد الـرب الممجَّـد.

+ فوصيـة الـرب: «اصنعـوا هـذا لذكـري» تتحقـق، إذاً، بمجـيء وحلول الروح القـدس، هـذا الـذي تطلبـه الكنيسـة في مـا يسـمى بصلـوات «الاسـتدعاء l'épiclèse». فكـل المؤمـنين يختمـون هـذا التوسُّـل بكلمـة آمين (أي ليتـه يكـون هكـذا، أو ليتـه يُستجاب لنـا).

[عندمـا يـردد الكـاهن قـول الـرب: «هـذا هـو جسـدي»، هـذه الكلمـات تُبـدِّل طبيعـة القرابين... وهكـذا إذا نطـق الـرب هـذه الكلمة مَـرَّةً، صـارت كافيـة وستكفي لتكـون فاعلـة في كـل قربـان يُقـدَّم وسيُقدَّم على مـائدة جميـع الكنـائس، منـذ الفصـح الأخـير الـذي عملـه الـرب يسـوع حتـى يومنـا هـذا، وإلى يـوم مجيئـه، لتجعله الذبيحـة الأعظـم كمـالاً.

---

(٧) في أوشية حلول الروح القدس يقول الكاهن سراً: «ليحل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة ويطهرها وينقلها و**يُظهرها** قدساً لقديسيك».

الخبز يصير خبزاً سماوياً، لأن الروح القدس يأتي ويحلُّ عليه.

هذا الذي يجري أمامنا ليس عمل قدرة بشرية. فإن الذي عَمِلَ في العشاء الأخير، هو ذاته الذي ما زال حتى الآن يُجري هذا. نحن (أي الكهنة) لسنا إلاّ بمنزلة الخَدَم، ولكنه هو الذي يُقدِّس وهو الذي يُحوِّل.

لا يوجد إلاّ مسيحٌ واحد، هو بكُلِّيته هنا، وهو بكلِّيته هناك في كل كنيسة، جسد واحد.. نحن لا نقدم ذبيحة أخرى، كما كان يفعل رئيس الكهنة قديماً؛ بل هي دائماً نفس الذبيحة، وإنما نحن نستعيد حضورها وذِكرها.](٨)

القديس يوحنا ذهبي الفم

[نحن نتوسل إلى الله أن يرسل الروح القدس على هذه القرابين الموضوعة هنا، حتى يجعل الخبز جسدَ المسيح والخمر دمَ المسيح، لأن الروح القدس يقدِّس ويحوِّل كل ما يَمَسُّه.](٩)

القديس كيرلس الأورشليمي

[خبز وخمر الإفخارستيا، قبل الاستدعاء المقدس (استدعاء الروح القدس) هما خبز وخمر عاديان، أما بعد الاستدعاء

---

(٨) JEAN CHRYSOSTOME: *Sur la trahison de Judas*, Homélie 1,6 (PG 49,380)
Sur Jean, Homélie 45,2 (PG 59, 253)
Sur Matthieu, Homélie 82,5 (PG 58, 743)
Sur Heb., Homélie 17,3 (PG 63,131)

(٩) CYRILLE DE JÉRUSALEM: *Catéchèses Mystagogiques*, V,7, (SC n° 126, p. 154)

فيصـــير الخبزُ جسدَ المسيح، والخمرُ دمَ المسيح...][١٠]

القديس كيرلس الأورشليمي

+ الاشـتراك في المسيح بالتنـاول، هـو اشـتراك في الـروح القـدس.

[كـل مـرة تشـرب فيهـا (دم المسـيح)، فـأنت تنـال مغفـرة خطايـاك وتنتعـش بـالروح القـدس. لهـذا يقـول الرسـول: "لا تسـكروا بـالخمر... ولكـن امتلئـوا بـالروح". لأن مَنْ ينتشِ بـالخمر يـترنح، ويفقـد التحكُّـم في نفسـه؛ أمـا مـن يَثمـل بـالروح فهـو يتـأصَّل في المسـيح.][١١]

القديس أمبروسيوس أسقف ميلان

+ الإفخارسـتيا تسـبق وتُعـدُّ للمجـيء الثـاني المجيـد... فهـي، وإن كانت تدعونا أن نحيـا في الحضـرة الإلهيـة الدائمـة، إلاَّ أنهـا توعـز لنـا أيضـاً أن نتطلـع إلى الظهـور الإلهـي الـذي سيكون في نهايـة هـذا العـالم، عندمـا يأتي الرب في مجده تحيـط بـه ملائكتـه. مـن أجـل هـذا، كـان نـداء «مـاران أثـا Maranatha» الأراميـة، والـتي تعـني بالعربيـة «تعـالَ، أيهـا الـرب» هـي صـلاة إفخارسـتية بنـوع خـاص في الكنيسـة الأولى، الـتي طالمـا كـانت تُـردَّد في كـل قـداس إفخارسـتي: «ليـت الـرب يـأتي، وينتهـي العـالم»[١٢]...

+ إن الخليقـة الـتي لمـا أبدعهـا الله في البدايـة، ورآهـا حسـنة جـداً،

---

(١٠) CYRILLE DE JÉRUSALEM: Catéchèses Mystagogiques, I,7, (SC n° 126, p. 94)

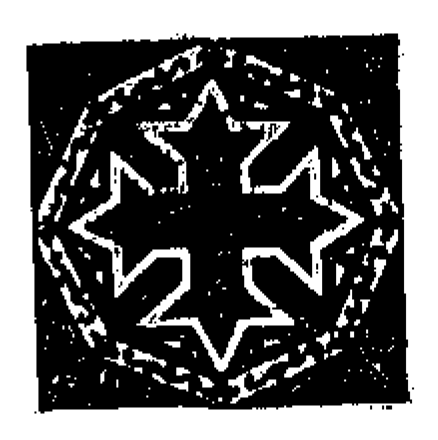
(١١) AMBROISE DE MILAN: *Des Sacrements*, V,3,17 (SC n° 25, p.92)

(١٢) من كتاب «الديداخيه» ف ١٠:٦

ستُحقق كمالها عندما يصير الله «الكل في الكل». الإفخارستيا، إذاً، هي بمثابة «المنّ» السماوي لشعب الله في طريق عبوره برية هذا العالم وتقدُّمه نحو الملكوت. فهو غذاء الروح، و«منُّ» الحياة الأبدية...

[يا فصحَنا الكلي القداسة،
أيها المسيح،
الحكمة الأزلية،
كلمة وقوة الله،
اجعلنا أن نكون قادرين على أن نشترك فيك باعتراف صريح
وإيمان مستنير،
بالنور غير الزائل الذي لملكوتك الآتي.][١٣]

صلاة بعد التناول
في ليتورجية القديس باسيليوس
(لدى البيزنطيين)



(١٣) *Prière après la communion*, dans la liturgie de saint Basile

- ٥ -

سرُّ الإفخارستيا

هو أساس الكنيسة

□✱■✱□

+ بالإفخارستيا تتكامل الجماعة الواحدة بجسد المسيح، والجسد لا ينفصل عن الرأس. وكما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: «إن أدنى انفصال يُعرِّضنا للموت».

[كما أن الرأس والجسد يؤلفان إنساناً واحداً، كذلك المسيح والكنيسة يُكوِّنان كياناً كلياً واحداً. هذا الاتحاد يتحقق بالقوت السماوي الذي منحنا إياه المسيح، عندما أراد أن يُظهِرَ لنا مقدار الحب الذي يكنّه من نحونا. لأجل هذا وَحَّد نفسه بنا صميمياً، فمزج جسده ببشريتنا كخميرة بالعجين، كي نصير كائناً واحداً في تماسك الجسد بالرأس.](١)

القديس يوحنا ذهبي الفم

[ليتنا ندرك عجيبة هذا السر، والغاية من تأسيسه، ومؤثراته التي تسري فينا؛ فبه نصبح جسداً واحداً، حسبما يقول الكتاب،

(١) JEAN CHRYSOSTOME: *Sur la 1re Cor.*, Homélie 30,1 (PG 61,279)
Sur Jean, Homélie 46,3 (PG 59, 260)

أعضـاء جسـده، وعظمـاً مـن عظامـه. هـذا مـا يحققـه القـوت الروحـي الـذي يمدُّنـا بـه: إنـه يمتزج بنـا، حتـى نصـير كُلُّنـا حقيقـةً واحـدة، كجسـدٍ واحـدٍ مقـترن ومتصـل بهامتـه.](٢)

القديس يوحنا ذهبي الفم

+ بقـدر «تقـرُّب» المؤمنـين للمسـيح و«التصـاقهم» بـه، و«تطعيمهـم» **بجسـده**، ليصـيروا معـه «غرسـاً واحـداً» و«كيانـاً واحـداً»؛ فـإنهم يكونـون أيضـاً «أعضـاءً بعضهـم لبعـض». هـذه التعبـيرات القويـة الـتي تَـرِد في رسـائل القديـس بولـس، والـتي لهـا رنـين إفخارسـتي لا ريـب فيـه، قـد شـرحها الآبـاء باسـتفاضة دون أي كلـل. فالإفخارسـتيا تجـدد وتُثبِّـت وتعمِّـق الوحـدة الكيانيـة مـع الله ومـع كـل البشـر. فـالكل يُشـكِّل ذات الكيـان الـذي لجسـد المسيح الواحـد، نفـس الحيـاة الواحـدة عـبر الزمـان والمكـان. وهكـذا تضـع الإفخارسـتيا أسـاس جامعيـة «catholicité» الكنيسـة ووجودهـا العـام.

+ فكلمـة «كاثوليكيـة»، الـتي تُـترجم «جامعـة»، تتـألفُ مـن مقطعـين: kat' - holon أي «بحسب أو وِفقـاً للكـل»، أو بمقتضـى كمـال الحـق الـذي فيهـا والـذي هـو حيـاة ومحبـة، وشـركة ووحـدة قديسـين مُتـأصِّلين معـاً في تنـاول «القُدسـات»، الـتي هـي **جسـد ودم المسـيح**.

[كما أن هذا الخـبز المكسـور، الـذي كـان فيمـا سـلف متنـاثراً علـى الجبـال قـد جُمِـعَ، وضُـمَّ معـاً ليكـون خـبزة واحـدة، هكـذا اجمـع

---

(٢) JEAN CHRYSOSTOME: *Sur Jean*, Homélie 46,3 (PG 59, 260)

كنيستك من أطراف الأرض (لتكون واحداً) في ملكوتك.][3]

«الديداخيه»

أو تعليم الرسل الاثني عشر

[عندما يدعو الرب جسده خبزاً مُعَداً من اجتماع عدد كبير من حبات القمح معاً، فإنه يشير بهذا إلى وحدة شعبنا واتفاقهم في الإيمان الواحد. وعندما يدعو دمه بالخمر المُستخرج من عدد كبير من حبات العنب مكوِّناً شراباً واحداً متجانساً، فهو يُلمح بهذا أن رعايتنا الشاملة لكثرة من الناس ستؤدي إلى الوحدة الكاملة.][4]

القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة

[من الأمور المسلّم بها تماماً، أننا ننقسم إلى شخصيات متباينة، وبها نعرف مثلاً أن هذا بطرس وذاك يوحنا أو توما أو متى، ولكننا باغتذائنا من جسده الذي يُوحِّد الكل معاً، نكون وكأننا قد انصهرنا وانجمعنا إلى جسدٍ واحدٍ في المسيح.][5]

القديس كيرلس الكبير

[يخلق المسيح من أفراد وجماعات المؤمنين المتفرقين في أماكن متباعدة، جسداً واحداً. فذاك الذي يقيم في روما يحسب الذين يقيمون في الهند أنهم أعضاؤه الخصوصيون. أيوجد اتحادٌ مثيلٌ

---

(٣) *Didaché*, IX,4 (SC n 248, p. 176)

(٤) CYPRIEN DE CARTHAGE: *Lettre*, 69,V,2
Correspondance, éd. Belles Lettres, (1961, t,2, p. 242)

(٥) CYRILLE D'ALEXANDRIE: *De Trinité* (PG 75, 695-697)

بهذا؟ المسيح هو رأس الكل.](٦)

القديس يوحنا ذهبي الفم

+ الإفخارستيا التي تُقام هنا على الأرض متصلة بتلك التي تحتفل بها السماء؛ فينبغي على جماعة المؤمنين، أثناء الصلاة الإفخارستية، أن «ترتفع بقلوبها إلى السماء»؛ أو بالأحرى توجد وتمتد في مجال القيامة الرحب، حيث لا يعود هناك بعد حجاب حاجز بين السماء والأرض، أو بين الملائكة والبشر، أو بين الأحياءِ والأموات، (الذين هم في الحقيقة ليسوا أمواتاً، بل يستعدون هم أيضاً للقيامة، أو إن كان من جهة القديسين فهم ينتظروننا هناك ويصلّون من أجلنا حتى نُكمِّل جهادنا ونلحق بهم).

[الجنود الملائكية في السماء يسبِّحون بمجد الله؛ والبشر المجتمعون هنا في الكنيسة في خورس واحد يرددون بعدهم نفس الذكصولوجية (التمجيد). هناك في الأعالي يداوم ملائكة النور على إنشاد تسبحة الثلاثة التقديسات بصوتٍ متوافق معاً لا يفتر؛ وهنا على الأرض يردد لهم البشر صدى تسبيحهم (أي يتجاوبون معهم). سكان السماء مع قاطني الأرض يتحدون في التقديس الواحد، وفي صلاة الشكر الواحدة، ويشتركون في حركة التهليل الواحدة، ونفس جوقة الفرح.](٧)

القديس يوحنا ذهبي الفم

+ «سر قربان المذبح: المائدة المقدسة» يمتد وينكمش في مفعوله

---

(٦) JEAN CHRYSOSTOME: *Homélie* 61,1 (PG 59, 362)

(٧) JEAN CHRYSOSTOME: *Sur Ozias, Homélie* 4,1 (PG 56,120)

بحسب مدى علاقتنا بـ«سر المحبة الأخوية» بُعْداً أو قرباً، كما لا يمل القديس ذهبي الفم أن يردد ذلك مراراً. فما من أحد يقدر أن ينال في الإفخارستيا صفحَ وغفران وسلام الله، دون أن يكون قد صار من قبل إنسانَ مسامحةٍ وسلام. وما من أحدٍ يقدر أن يشترك في المائدة الإفخارستية، ما لم يكن قد أضحى إنسانَ بذلٍ وعطاء. في كنيسة الثلاثة قرون الأولى، كان كثيرون من المؤمنين يُحضرون معهم إلى الاجتماع الإفخارستي ليس فقط الخبز والخمر اللازمَيْن للتقديس، بل ويأتون أيضاً بشيء من أرزاقهم التي أرادوا أن يفرِّقوها على الآخرين ليشتركوا معهم هم أيضاً فيها.

[ثم يأتي بعد ذلك توزيع الإفخارستيا على كل واحدٍ بالتساوي، ويُرسَل للغائبين نصيبهم عن طريق كبير الشمامسة. والذين هم على سعةٍ من الرزق ويريدون أن يقدموا شيئاً، يعطون عن رضى حسبما يودُّ كلٌّ منهم. وكل ما جُمع، يُسلَّم لمن يدبر شئون الجماعة، أما هو فيساعد بها الأيتام والأرامل، والذين هم في عَوَزٍ، سواء كانوا مرضى أو بسبب أي علّة أخرى، وكذلك المساجين والغرباء عابري السبيل. وخلاصة القول، فإنه يقدم يد المعونة لكل من هم في حاجة ماسَّة إلى شيء.][٨]

القديس يوستينوس الشهيد

+ الإفخارستيا لا تحدد فقط معالم كيان الكنيسة وحقيقة وجودها وقيام شركة المحبة فيما بين المؤمنين مع بعضهم البعض، ولكن أيضاً

---

(٨) JUSTIN: *Apologie* I,67 (PG 6,84)

طريقة حياتهم وتعاملهم مع بقية العالم، أي مع من هم من خارج حظيرتهم، الذين يجب أن نشركهم في أرزاقنا وأن نحيطهم بمحبتنا ورعايتنا، لأن هذا هو مفهوم البعد المسيحي للمحبة، التي يجب أن تمتد حتى تشمل البشرية كلها وتعم المسكونة جمعاء...

+ التأمل الداخلي العميق للإفخارستيا، وبالأخص المصحوب بالدعاء باسم الرب يسوع، هو من الموضوعات الأساسية في الحياة الروحية المسيحية. وأما إقامة الإفخارستيا في وسط جماعات المؤمنين، فمن شأنها أن تجدِّد وتوطِّد العلاقات الودية بين الناس وبعضهم، بل وبين البشرية والخليقة كلها، هذه التي يُطلَب الصلاة من أجلها جملةً وتفصيلاً في كل قداس: «صلوا من أجل...»

[تخشَّع أمام مضمون إصعاد القرابين. فالمسيح ذاته هناك يُقرِّب ذبيحة. ولماذا ضحَّى بنفسه؟ لكي يصنع صُلحاً بين السمائيين والأرضيين؛ لكي يصالحك مع الله ومع الخليقة كلها، ويجعلك خليلَه وعشيرَه، (كما دعى إبراهيم أبو الآباء)... فما فعله ابن الله، هكذا افعله أنت أيضاً، حسبما تسمح لك قدراتك البشرية في أن تكون صانع سلام لنفسك وللآخرين.. لهذا فإن الأمر الوحيد الذي عليك أن تتذكره لحظة تقديم القربان وقبل التناول، هو أن تتصالح مع أخيك، مما يشير إلى أن تنفيذ هذه الوصية هو الأكثر أهمية.][٩]

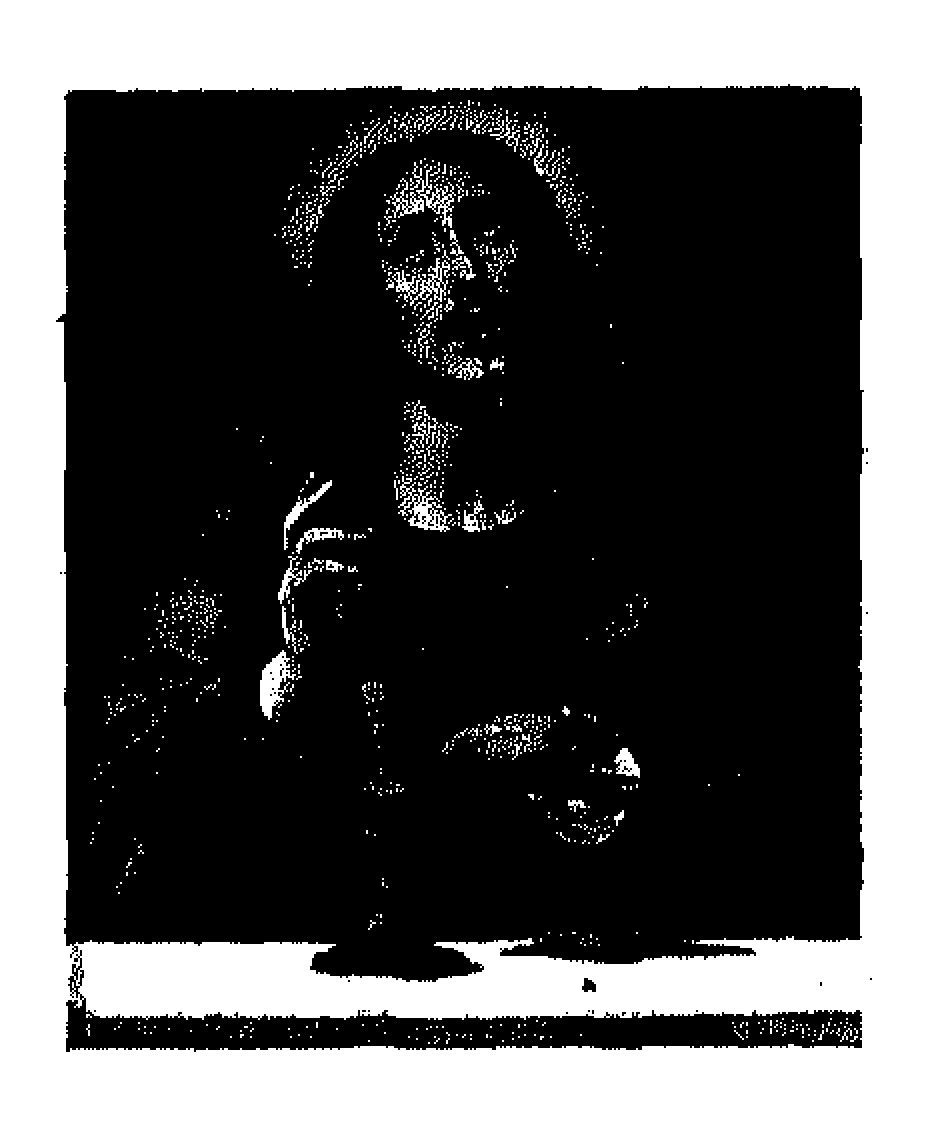
القديس يوحنا ذهبي الفم

---

(٩) JEAN CHRYSOSTOME: *Sur la Trahison de Judas*, Homélie 1,6 (PG 49,381)

[أتريد أن تكرِّم جسد المخلِّص؟ لا تحتقره عندما يكون عرياناً. واحذر أن تكرِّمه بإحضار الثياب والأكسية الحريرية إلى الكنيسة، بينما تتركه في الخارج ترتعد فرائصه من البرد بلا شيء يتدثر به جسده العاري في أشخاص المساكين. فذاك الذي قال: «هذا هو جسدي»، والذي قال للشيء «كن» فكان بكلمة قدرته، هو نفسه الذي قال: «لأني جعتُ فأطعمتموني... بما أنكم لم تفعلوه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا!» (مت٢٥: ٣٥-٤٥). كرِّمه، إذاً، بإشراكك الفقراء في رزقك: لأنه لا يليق أن نُقدم لله كؤوساً من ذهب، بل نفوساً من ذهب.][١٠]

القديس يوحنا ذهبي الفم



(١٠) JEAN CHRYSOSTOME: *Sur Matthieu*, Homélie 50,3 (PG 58,508)

- ٦ -

سر الإفخارستيا
والمواظبة على التناول

□✱■✱□

+ الإفخارستيا التي هي أساس الكنيسة، كان لها بالضرورة، عند المسيحيين الأوائل، الطابعِ الجماعي المتحِد والمشترِك في الرأي الواحد. ليس كأنها تعطي اعتباراً للجماعة بينما تتغافل عن الفرد؛ بل إنها تراعي تماماً كل فردٍ على حِدة... وفي نفس الوقت تبني الشخص وتوحُّده بالجماعة المتفقة معاً في ذات الإيمان الواحد وشركة المحبة ذات الكيان الواحد...

+ كان يوم الأحد من كل أسبوع يُعتبر أنه عيد قيامة الرب، وبالتالي هو اليوم المفضل للاجتماع الإفخارستي، حيث كان كل المؤمنين يتبادلون قبلة السلام، مكوِّنين قِوام الكنيسة باشتراكهم معاً في الوليمة الإفخارستية.

+ المسيح قام في اليوم التالي للسبت، «اليوم الأول من الأسبوع» كما يقول الإنجيل. هو يومٌ أولٌ (بمعنى متقدم)، وهو أيضاً اليوم الثامن، أي يوم نهائي أو أخير. «يومٌ أحدٌ» هو بدء بزوغ وتحرك الزمن، كما يقول القديس باسيليوس الكبير (في مقالة عن

الروح القدس – ف٢٧). هو يوم بدء تكوين الخِلقة. إشراق شمس القيامة لـ«نهار لا يزول»، فيه نتقبَّل الحياة الجديدة المنبعثة لنا من القبر.

[نحن بجتمع كل أيام الشمس (الأحد)، لأنه اليوم الأول الذي فيه أخرج الله العناصر المادية من دياجير ظلامها، وأبدع الكَوْن، ولأنه أيضاً اليوم الذي فيه قام يسوع المسيح، مخلِّصنا، من بين الأموات.](١)

القديس يوستينوس الشهيد

+ كان بعض الآباء، وبالأخص العلاَّمة كليمندس الإسكندري، يرون أن هذا اليوم الأول (بعد السبت) والأخير (المسمَّى باليوم الثامن)، والذي يجعل من المسيحيين «أبناء نهار» (١تس٥:٥)؛ يعود بوعينا إلى الكلمة الأزلي (الأول والآخر رؤ١:١١) «الذي به أتت كل خليقة إلى النور وإلى الوجود» (*Stromates* 6,16). لأنه منذ الأزل كان هذا «البدء» (تك١:١)... بالكلمة خلق الله «السماء والأرض»، وبتجسده جدَّدهما. القيامة أنعشت الخليقة وبعثت «روح الحياة» في البشر لتجعل منهم «أبناءً مختارين»، أبناء نور اليوم الثامن (يوم الرب – يوم شمس البر).

+ ومع ذلك كان التناول اليومي أيضاً معمولاً به في العصر الرسولي والآبائي، مع الاعتقاد بأن كل يوم ينبغي أن يكون عيداً واشتراكاً في نعمة «يوم الرب»، وهو تعبير إنجيلي يشير إلى مجيء

---

(١) JUSTIN: *Apologie*, 1,67 (PG 6,84)

الملكـوت... الخـبز المطلـوب يوميـاً في «الصـلاة الربانيـة»: «خبزنـا الـذي للغـد» أو «خبزنـا الجوهـري» يشـير بكـل وضـوح إلى «سـر الإفخارسـتيا»...

[فـأنت قـد سمعـت أنـه في كـل مـرة يُقـدَّم فيهـا "القربـان"، فنحـن نُعبِّر عـن اعترافنـا بموت الـرب، وقيامتـه، وصعـوده، وفيـه تُغفـر الخطايـا. ألا تتنـاول كـل يـوم خبز الحيـاة هـذا؟ مـن قـد أُصيـب بجُـرحٍ فإنـه يطلـب العـلاج. ومفهـوم الجـرح عندنـا هـو خضوعنـا للخطية. أما الـدواء الشـافي، فهـو هـذا السـر المكـرَّم السـماوي...
إذا ما تناولته كل يوم، فإن كـل يـوم سـيصير لـك "اليوم".
وإذا كـان المسـيح لـك "اليـوم"، فإنـه سـيصير أيضـاً قيـامتك اليـوم...
إذاً "اليوم (الآتـي أو يـوم الـرب أو يـوم الملكـوت)"، يكـون قـد أتـى فعـلاً وصـار لـك الآن.](٢)

القديس أمبروسيوس
أسقف ميلان

+ ينبغـي أن نقـرر أن الوضـع الـذي يصفـه القديـس كـيرلس الأورشـليمي (في النـص الـذي سـنقرأه الآن) يبـدو أنـه هـو الأكـثر مطابقـة لـروح الإنجيـل: فهـو مـن جهـة يشـهد للتوقـير الشـديد لقـوة الإفخارسـتيا المقتـدرة علـى التقديـس، ومـن جهـة أخـرى، للثقـة الـتي تُولَـى للمؤمنـين المشـتركين بوعـي تـام في الصـلاة الليتورجيـة.

---

(٢) AMBROISE DE MILAN: *Des Sacrements*, V,25,26 (SC n 25, p.95,96)

[عندما تقترب للتناول من سر الإفخارستيا، لا تتقدم وراحتا يديك مبسوطتان، ولا تكن الأصابع منفصلةً، بل ضُمها إلى بعضها، واجعل من اليد اليسرى عرشاً لليمنى، حيث أن هذه ستحظى باستقبال الملك. وفي باطن اليد تقبَّل جسد المسيح قائلاً: "آمين". ثم بانتباه وبعناية شديدة طهِّر عينيك بملامسة الجسد المقدس. بعدئذ تناوله محترساً ألا تفقد منه شيئاً... ثم بعد أن تتناول جسد المسيح، اقترب أيضاً إلى كأس دمه. لا تمد يدك؛ بل بوقار العبادة انحنِ قائلاً: "آمين" . تقدَّس بتناولك أيضاً دم المسيح. وبينما شفتاك ما تزالان مبللتين، إلمسهما لمساً خفيفاً بيديك، وبارك عينيك وجبهتك وبقية حواسك الأخرى.](٣)

القديس كيرلس الأورشليمي

+ الصوم المعتدل المقنَّن، المصاحب للتوبة، ضروري للاستعداد للتناول من الأسرار المقدسة. في الكنيسة الأولى كان الصوم يبدأ من مساء اليوم السابق، المعتبر أنه فاتحة اليوم الليتورجي الذي ينتهي بالتناول في الصباح الباكر. وهذا كان يهدف لأن يتعمق في وعي الإنسان معنى الجوع إلى الله الذي أعطى ذاته لنا قوتاً روحياً. إنه لا ينبغي أن نتقدم إلي هذا السر دون وعي ودون إحساس الروح بالجوع إليه.

---

(٣) CYRILLE DE JÉRUSALEM: *Catéchèses Mystagogiques*, V,21,22 (SC n 126, p. 170,172)

[يجب أن يُستَعدَّ لهذه الوليمة الروحية بالصوم... إذ ينبغي أن نتقدم إليها بإحساسنا العميق بالجوع إليها، وكذلك إلى كأس الفرح الروحي، بوعينا بالعطش إلى هذه الأسرار السماوية.](٤)

القديس أمبروسيوس

أسقف ميلان



(٤) AMBROISE DE MILAN: *Sur Elie et le Jeûne*, 10,33 (PL 14,708)

- ٧ -

بيوت الله كأماكن للعبادة والإنسان كهيكلٍ لله

□✱■✱□

+ بنى الله الإنسانَ، لكي يبني الإنسانُ لله بيوتاً، وهذه بدورها، من خلال أشعتها الظاهرة (أعمال المحبة)، والخفية (التقوى وحياة الصلاة)؛ تبني المجتمع، وتنشر الثقافة المستنيرة، وتوطد العلاقة بين الإنسان والله، وبين البشر وبعضهم البعض. فإن الله جعل ذاته قريباً لنا لغاية قصوى، إذ أعطانا نفسه في خبز الحياة، وقوت القيامة. انطلاقاً من هذا الأساس، فإن كل شيء في الوجود سيحقق معنى القيامة.

[إذا اجتمع اثنان أو ثلاثة في اسمك، يا رب، فقد أقاموا كنيسة. تطلع بعين رعايتك إلى الآلاف المجتمعين هنا معنا اليوم. لقد أُعدَّت قلوبهم لتكون قدس أقداس لك، قبل أن تبنيه أيدينا (من حجارة) لمجد اسمك، لجعل هذا الهيكل الحجري أيضاً مزداناً بنورك كالهيكل الداخلي تماماً. تنازل وحلّ في هذا الواحد كما تحلُّ في الآخر. قلوبنا قد وُسمت باسمك كما هذا البناء الذي نحن فيه الآن (الكنيسة)...

ا الله بنى الإنسان، لكي يبني الإنسان له بيوتاً! مبارك هو حنانك الذي أحبنا بهذا المقدار!

إنه الكلي القدرة، الذي لا يحده زمن ولا مكان، أما نحن فمحدودون. إنه شيَّد لنا العالم بأسره، أما نحن فنبني له بالكاد بيتاً. إنه من المُبهر والمبهج أن يتسنى للإنسان المحدود أن يبني مسكناً لمن يملأ بحضوره كل مكان...

إنه يسكن بيننا بملء العطف والحنان. إنه يجتذبنا إليه بوُثُق المحبة. قد حلَّ في وسطنا، ليدعونا أن نتخذ طريق السماء، لنحيا معه إلى الأبد...

ا الله أتى وحلَّ بين البشر، لكي يمكن للبشر أن يتلاقوا معه.

أنت يا من هو الملكوت نفسه، تأتي إلينا وتحل فينا؛ فنصبح مسكناً لك... الكاهن يقدم الخبز في اسمك؛ وأنت تعطي الجميع جسدك قوتاً...

سماؤك أعلى جداً بما لا يُقاس من أن نبلغها. ولكن ها أنت تأتي إلينا في هذه الكنيسة وتصير قريباً منا للغاية.

عرشك قائمٌ في نور لا يُدنى منه، ومن يجسر على الاقتراب إليه؟ ولكن العجيب أن هذا الإله الكلي القدرة يأتي ويحلُّ في هذه القربانة (خبز الإفخارستيا)، ومن أراد يمكنه أن يتقدم ويأكل.](١)

من تسابيح الكنيسة السريانية

في تكريس الكنائس الجديدة

(يرجع تاريخ هذا النص لأوائل القرن الخامس)

---

(١) *L'Hymne pour la Consécration d'une Nouvelle Église*, (Bickell I, p.77-82)

+ القديس أمبروسيوس أسقف ميلان، كان قبل رسامته علمانياً، ثم اختير أسقفاً رغماً عنه بواسطة إكليروس وشعب المدينة، ولما هرب من هذا المنصب، أُلزِمَ بالإجبار أن يقبله. لقد ترك لنا هذا الأسقف القديس الصلاة الرائعة التالية التي يُعبِّر فيها عن الدعوة العليا التي للأسقفية، والسمات والمواهب التي ينبغي أن يحوزها من كُلِّف بهذه الخدمة الرسولية. فهو يطلب قبل كل شيء أحشاء رأفة وقدرة على البكاء مع الخاطئ؛ بأن يُنصت إليه أثناء اعترافه، ويحاول أن يُقوِّم مسيرته، ويعزِّيه بكلام الله ووعوده للتائبين.

صلاة للقديس أمبروسيوس:

[يا رب، انظر بعين رعايتك إلى عملك الذي كلفتني به. احفظ فيَّ نعمتك التي منحتني إياها، رغم هروبي وتمنُّعي. كنتُ واثقاً أنني لست أهلاً لهذا المنصب الأسقفي... ولكن بنعمتك اخترتني دون استحقاق مني، ولأنك أعطيتني أن أعمل في كنيستك، فليتك تصون ثمار كدِّي وتعبي. أنت دعوتني إلى الكهنوت بينما كنتُ ابناً ضالاً، ولكن لا تسمح الآن أن أضلَّ الطريق بعد أن صرت كاهناً.

أتوسل إليك يا رب أن تهبني قبل كل شيء نعمة حنانك الإلهي. هبني أن أرأف بالخطاة من عمق أعماق القلب، لأن هذه هي الفضيلة العظمى التي أحتاج إليها في رعايتي... أعطني أن أتزود بها في كل مرة أتعرف بها على زلة خاطئ. ليتني لا أتجبَّر في الحكم عليه؛ بل ليتني أنوح معه. اجعلني عندما أبكي على أي إنسان خاطئ، أن أعتبر أنني أبكي على نفسي. وليته يمكنني أن أتخذ لنفسي دائماً هذه الكلمة التي قيلت للفريسي:

"إن هذه الخاطئة أحبت أكثر منك."][٢]

القديس أمبروسيوس أسقف ميلان

+ كانت الصورة المثالية الرائدة للكنيسة الأولى في أورشليم في اجتماعها الإفخارستي تُقَوِّي وتعمِّق المحبة الأخوية، حتى إن كل الذين آمنوا كانت أموالهم مشتركة بينهم. ولكن بينما بدأ الإيمان العامل بالمحبة يضعف عند الشعب المسيحي، وذلك بعد توقف الاضطهاد في أوائل القرن الرابع، أخذت حرارته تشتد مرة أخرى في الأوساط الرهبانية، كما يشير هذا النص الآتي للقديس باسيليوس الكبير كأحد مؤسسي الرهبنة المشتركة (في آسيا الصغرى)...

[الجماعة الأخوية المشتركة هي ميدان يتدرب فيه، ويتخرج منه الأبطال المتمرسون في الفضائل المسيحية، إنها طريق يؤدي نحو التقدم في الحياة الروحية، إنها طريق جحدٍ للذات لا يتوقف، وانشغال دائم بوصايا الله؛ غايتها المبتغاة هي مجد الله، حسبما يوصي مخلِّصنا، إنها من جانب آخر تحفظ لنا مثال القديسين الذين يقول عنهم سفر الأعمال: «وجميع الذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم كل شيء مشتركاً»، أو أيضاً: «وكان لجمهور الذين آمنوا قلبٌ واحد ونفس واحدة. ولم يكن أحدٌ يقول إن شيئاً من أمواله لـه؛ بل كان عندهم كل شيء مشتركاً.»][٣]

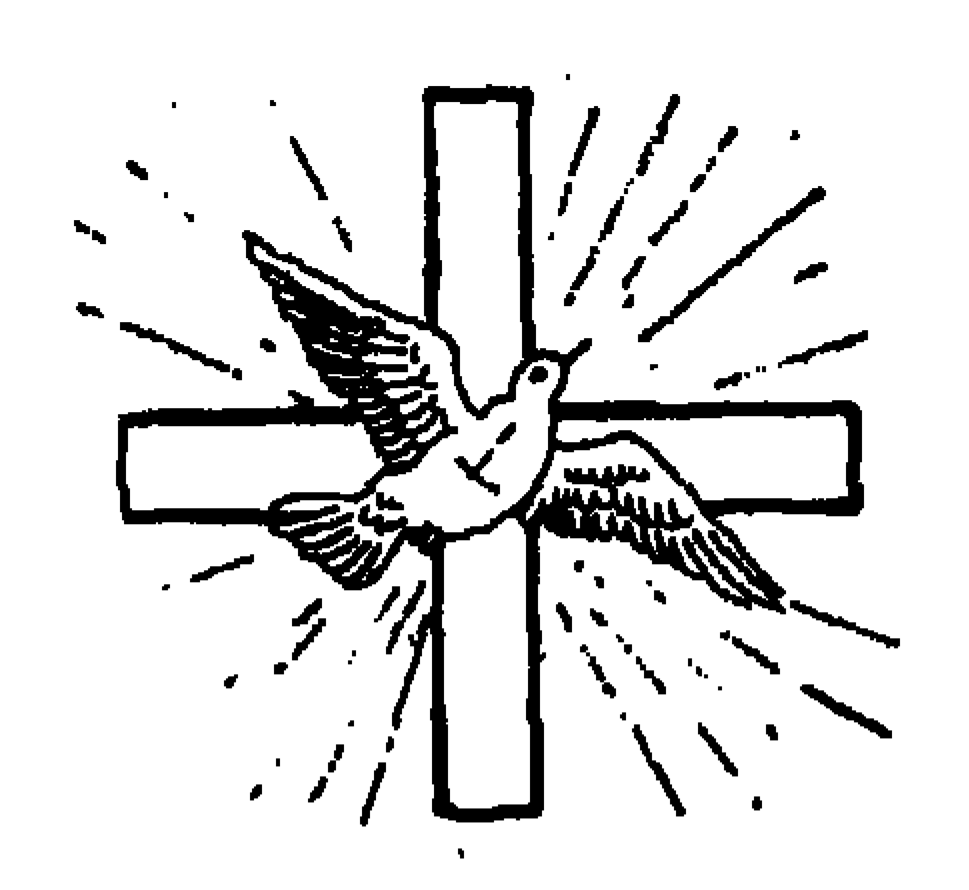
القديس باسيليوس الكبير

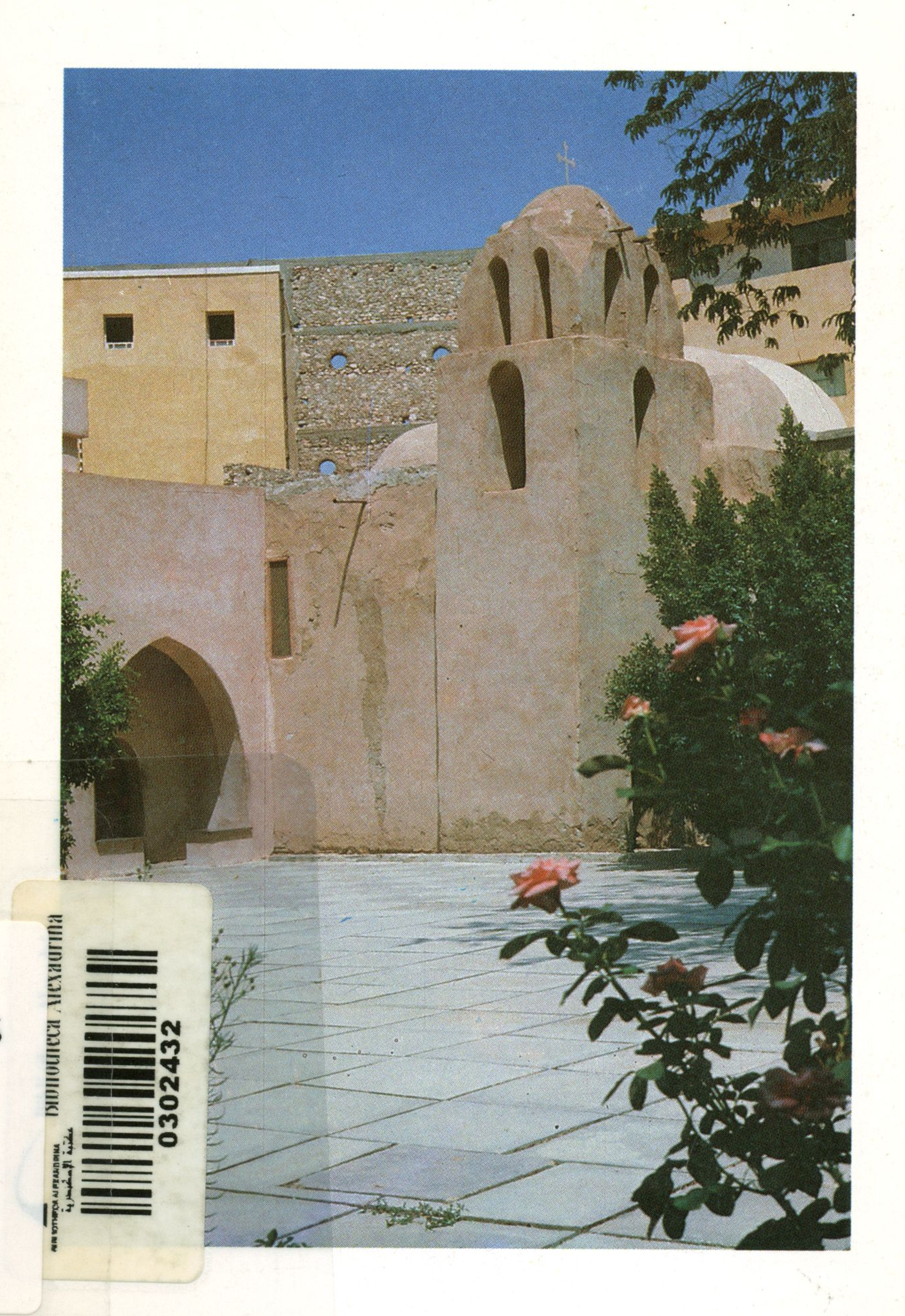
---

(٢) AMBROISE DE MILAN: *De la Pénitence*, II,8,67-73 (PL 16,431)

(٣) BASILE DE CÉSARÉE: *Grandes Règles*, 7,4 (PG 30,347)

+ لماذا الكلام عن الكنيسة هكذا بإسهاب، إلا لأن الحياة الروحية ليس لها هدف آخر سوى أن تحوِّل الإنسان إلى كنيسة، إلى هيكل للروح القدس؟





الثمن جنيه واحد

(١٥٦)